من وحي الذكرى[١]

للاستاذ السيد محمد تقي الحكيم
عضو المجمع الثقافي لمنتدى النشر

ليس المهم — فيما اعتقد — ان اعرض في حديثي هذا فصلا من مأساة الحسين « ع » استدر فيه الدموع من مآقي الحاضرين ، وإلا فما ايسر البكاء ، وما اقل جدواه اذا كانت الغاية من اقامة احتفال هذه الذكريات ؟

فالحسين لم ينهض نهضته الجبارة ليخلق امة تكتفي بالبكاء عن النظر في ملابسات القضايا التي حفزته للنهوض وتجعل ذلك جزاءه الوحيد ولو اعتبرنا ذلك وحده الجزاء فما اضيع حقوق تلك النهضة ، وما ابسط الجزاء ؟

انا لا انكر على الباكين والنادبين ما يفعلونه ولو انتهى بهم الحال الى افجع الصور ، وامضها . فهذا وامثاله قد اعده من ضروريات التنفيس عن الانفعالات المزدحمة التي تصاحب — عادة — كل من يعرف قيمة الحسين ، ويضمر ما يستحقه من ولاء ، على ان فصول المأساة وحدها كافية لايحاء اعمق الانفعالات ولكن الذي انكره واود ان اصرح به في هذا الحفل الكريم ، ان نكتفي بهذا المقدار عن التعمق في فهم اسرار نهضته ، وعن العمل على خلق الجو الملائم لتعميم الرسالة الاصلاحية المقدسة ، التي قام بتأديتها من هذه الطريق مع اننا — ونحن في هذا العصر — احوج ما نكون الى ذلك ، وفي عقيدتي ان الناهض المصلح لا يتوخى من نهضته اكثر من تعميم رسالته ونشرها بين سائر الطبقات .

اقول هذا وانا اعلم أن في الاعلام الذين يشاركون في هذا الحفل من سيعرض ببيانه الأخاذ الى اسرار نهضة الحسين « ع » فيجلوها بما فيها من مغاز تنبض بالحياة ، ويضعها بين ايدي السامعين ليأخذوها بلسم لجراحات المبدأ المقدس ، قبل ان تأتي على البقية الباقية من حناياه .

ولكن مع ذلك اعلم ان احاديثهم سوف لا تصل الى الاعماق شأن سائر الاحاديث الاصلاحية ، التي ارتفع صداها مراراً في مجتمعنا الذي انعدمت فيه او كادت جميع القيم الاخلاقية المثالية ، وإلا فمن منا لا يعرف ان الحسين « ع » نهض من اجل المثل العليا عندما رآها تتلاشى على اعتاب الخليفة الاموي — يزيد — فاستنقذها بما قدم من تضحيات ؟ ومن منا لا يعرف ان المثل العليا اليوم كادت ان تتلاشى على اعتاب المادية الطاغية التي استحوذت عليها من جميع الجهات .

كلنا نعرف ذلك ولكن حدثوني اين من وضع أو فكر ان يضع على الاقل سيرة الامام امامه ليستخرج منها طرقا لاستنقاذ هذه المثل من براثن المستحوذين ، على ان القضية اليوم غيرها بالامس ، فهي لا تحتاج الى تضحية الحسين ؛ ولا الى جهاد الحسين ، وكلما تحتاج اليه شيء من جهاد النفس وحملها على اتباع المثل ثم فرض ذلك على من يمت الينا ، ولا اقل من تغذيتها للناشئة الجديدة من ابنائنا الذين سنحاسب غداً من قبل الله والتأريخ الوطني على كيفية تربيتهم وتغذيتهم .

ومن منا لا يعرف ان القيم الاخلاقية التي قوضها معول الخليفة الاموي ، واقام على اطلالها بنفسه جل منافياتها التي حاربها الاسلام من شتى الموبقات ، وكانت من محفزات الامام للنهوض . .

وهذه القيم اليوم عينها بالامس قد تواثبت عليها معاول المخربين فكادت ان تقوضها من الاساس .

ايها السادة : —

انا لا اعد هذه المحافل وامثالها فوزاً لمبدئنا المقدس ما لم نستغل فرصها لاستئصال ادوائنا الاجتماعية في ضوء سيرة الحسين ، فهو لم يقدم نفسه واشبال هاشم وليوث الانصار ضحايا للعقيدة إلا ليعطي الاجيال درساً بليغاً من دروس التضحية في سبيل الاصلاح ، فانظروا — ايها السادة — روح الامام السبط كيف تطل على حفلكم هذا من فجوات القرون وهي تستنهضكم الى اتباع مبادئه « ع » ويدعوكم الى تعميم مثله العليا فليكن هتافنا في جوابه :

لبيك يا داعي الله لبيك
لبيك يا داعي الله لبيك

النجف :

محمد تقي الحكيم

[١] القاها في الليلة الثالثة السيد عبد الرزاق العايش.